



القراءة المعمقة لحديث الممثل المشترك للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية إلى سورية، الأخضر الإبراهيمي، إلى «الحياة» أول أمس الأربعاء، تفيد أن الأداة الوحيدة لإنقاذ سورية من «تعفن الجرح» والشزنة وتفتيت تكمن في تفاصيل أميركي-روسي يؤدي إلى توافق مجلس الأمن الدولي على مبدأ ووسائل الإنقاذ.

نائب الرئيس الأميركي جو بايدن سيجتمع خلال العطلة الأسبوعية بوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في ميونيخ، فيما سيتوجه مستشار الأمن القومي الأميركي توم دونيلون إلى موسكو الشهر المقبل للبحث في ملف بدء جولة مفاوضات جديدة حول معاهدة تخفيض نسبة السلاح النووي (ستارت) بهدف اطلاق «بداية جديدة» لتجديد تلك المعاهدة وللعلاقات الأميركية-الروسية.

رئيس الحكومة الروسية ديمتري ميدفيديف قال في «المنتدى الاقتصادي العالمي» في دافوس الأسبوع الماضي، إن مواقف البلدين ما زالت متباينة «فللولايات المتحدة رأيها وللاتحاد الروسي للأسف رأيه المخالف»، ذلك لأنه «ليس هناك حلول سهلة لمسألة الدفاع المضاد للصواريخ».

العلاقة بين المفاوضات الأميركية-الروسية على درع الصواريخ أو معاهدة «ستارت جديدة» تدخل في عمق مستقبل سورية.

العاشر الأردني الملك عبد الله الثاني حذر - من دافوس كذلك - أن «كل من يتوقع سقوط النظام (في دمشق) خلال أسبوعين إنما لا يعرف الحقيقة على الأرض»، متوقعاً «تنامي قوته العسكرية على الأقل حتى منتصف العام الحالي».

حذر أيضاً من تنامي نشاط القاعدة في سورية مع استمرار القتال، قائلاً إن طالبان الجديدة التي سيكون علينا التعامل معها هي في الواقع موجودة في سورية، وقال إن سورية تواجه اليوم إما الانفجار من الداخل Explode أو «الشزنة».

والسؤال الذي يُطرح في المحافل الدولية يدخل في صلب الدور الأميركي-الروسي في مصير شزنة وتفتيت سورية كأمر واقع، إما بسبب اعتمادهما عملياً سياسة الاستنزاف والإنهاك (موسكو نحو الجهاديين، وواشنطن نحو النظام في دمشق ومن يدعمه، والجهاديين معاً)، أو نتيجة ارتقابهم سورية ورقة في علاقاتهما الثنائية حتى إشعار آخر.

واضح أن الأخضر الإبراهيمي المكلف دولياً وعربياً بالبحث عن حلول سياسية للمعضلة السورية قد توصل إلى استنتاج بأن لا الدول الإقليمية ولا الأطراف السورية قادرة على حسم المسألة السورية بصورة أو بأخرى، لا عسكرياً ولا سياسياً. وقال: ليس هناك مجال الآن للتعامل مع هذه القضية ويبحث إنقاذ سورية إلا من خلال مجلس الأمن، حيث هناك فتحة صغيرة جداً، أولاً بين الأميركيين والروس في ثلاثة لقاءات كما بين الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن: الولايات المتحدة والصين وروسيا وبريطانيا وفرنسا.

الملفت في تقييمه للمسألة الروسية أن الإبراهيمي استنتج أن لا مجال لتطبيق نموذج 2+6 الذي اعتمد عندما فاوض وتوسط في المسألة الأفغانية.

ذلك النموذج شدد على الشراكة الضرورية للدول المجاورة لأفغانستان مع الداخل الأفغاني في البحث عن حل، بل إنه فتح المجال لأول تواصل مباشر بين الولايات المتحدة وإيران عبر لقاءات 2+6.

قال إن الإخوة في سورية عاجزون عن أن يتكلموا ويطلوا مشكلتهم بأنفسهم. ولو كان هذا ممكناً لكان هو الخيار الأفضل.

ولو تستطيع دول المنطقة أن تساعد، لكن هذا أيضاً خياراً جيداً..

ولكن من الواضح أن هؤلاء جميعاً... غير قادرين على الحل... والدور الذي حدده دول المنطقة لنفسها لم يوصل إلى نتيجة، لذلك قرر الإبراهيمي أن يطرق باب مجلس الأمن لمحاولة أن نفتحه، وهو لم يُفتح بعد.

الموافقة الأميركيّة-الروسيّة علىأخذ الإبراهيمي ما اتفقا عليه في اللقاء الثلاثي إلى الدول الخمس الدائمة العضوية في لقاء سداسي لأول مرة، لربما يؤدي إلى صدور موقف عن مجلس الأمن وعندها يصبح إصلاح الأطراف (للجهود) بطريقة مختلفة. تلك الفتحة التي تحدث عنها الإبراهيمي تكمن في زحفٍ بطيءٍ لروسيا نحو إنهاء الغموض الخالق لجهة دور الرئيس السوري بشار الأسد في العملية السياسية الانتقالية في سورية. تكمن أيضاً في زحفٍ بطيءٍ للولايات المتحدة نحو تحديد عقدة الأسد كي لا تكون المطالبة بتنحيه شرطاً في مطلع المفاوضات.

الفتحة التي توضحت معالملها هذا الأسبوع هي التحدث علناً عن إزالة الغموض في شأن دور الأسد في الهيئة الانتقالية أو الحكومة التي ستُشكّل لتمارس الصالحيات بكل معنى الكلمة، وفق تعبير الإبراهيمي.

بوضوح أكثر، هناك الآن تفاهم أمريكي- روسي على أن لا دور لبشار الأسد في تلك الحكومة الانتقالية البديلة من حكومته، وهذا التعريف يجب أن يأتي من مجلس الأمن عبر قرار رسمي يُخرج التفاهم هذا من الخانة الثانية الخلفية إلى الخانة العلنية لكامل مجلس الأمن.

الغموض البديل، إذا شاء التعبير، والذي لربما ما زال يشكل ما يسمى الآن بعقدة الأسد يكمن في ما إذا كانت الإدارة الأميركيّة جاهزة للقفز على مواقفها الداعية إلى تنحية أو تبني الأسد، أقله كمطلع أو كجزء من الفتحة التي تجعل روسيا مستعدة للمقايضة بين إزالة غموض دور الأسد في الحكومة الانتقالية وإضافة الغموض حول دور الأسد في مستقبل سورية. هنا يبدو أن الخلافات ما زالت مستمرة، ولذلك لم يتم التوصل إلى اتفاق على إصدار قرار لمجلس الأمن يعالج هذه العقدة. فالزحف إلى معالجتها بطيءٌ ربما لأسباب ذات علاقة بالمسألة السورية ذاتها أو لأسباب ذات علاقة بالمقاييس الثانية الأكبر.

التطور الآخر الذي وقع هذا الأسبوع هو زحفٍ بطيءٍ آخر نحو إلزام مجلس الأمن أن يتصرف بموجب المسؤوليات المنوطة به للحفاظ على الأمن والسلم الدوليين بدلاً من القبوع في ظل الإحباط والاختباء وراء لوم الآخر. روسيا والصين منعوا مجلس الأمن، باستخدامهما الفيتو المزدوج ثلاث مرات، من تبني أي قرار يضغط على النظام في دمشق ورئيسه بشار الأسد.

الولايات المتحدة، ومعها بريطانيا وفرنسا إلى درجة أقل، وجدت في الموقفين الروسي والصيني عذرًا لقاء اللوم عليهم وتعييبيهما لتغطية التردد والتلاؤ وعدم الرغبة لدى واشنطن بالانخراط في المسألة السورية.

لقاء سفراء الدول الخمس مع الأخضر الإبراهيمي لأول مرة يشكل فتحة أخرى في الزحف البطيء نحو استصدار قرار لمجلس الأمن يعكس عند صدوره تحولاً مهماً في معادلة الحلول السياسية مقابل الحلول العسكرية.

إذا صدر قرار جدي وحازم (تريده الدول الغربية أن يكون ملزماً بموجب الفصل السابع من الميثاق وترفض روسيا أن يصدر تحت ذلك الفصل)، لربما يكون ذلك مؤشرًا على تعليق سياسة الاستنذاف والإنهاك المتبادل.

الجهاديون ربما يشكلون القاسم المشترك بين السياسة الأمريكية الروسية في سوريا، القائمة على مسار الاستنذاف والإنهاك.

لكن النظام في دمشق، وكذلك إيران التي تلعب دوراً مباشراً دعماً للنظام، يشكلان نقطة الاختلاف والخلاف الأميركي-الروسي في سياسة الاستنذاف والإنهاك.

ذلك أن واشنطن قد تريد الاستنذاف والإنهاك المتبادل بين الجهاديين والنظام وطهران، فيما تريد موسكو التركيز قطعاً على إنهاك واستنذاف الجهاديين، لأن التطرف الإسلامي من وجهة نظرها قضية داخلية وليس فقط تصوراً سورياً.

روسيا تخشى الانسحاب الأميركي من أفغانستان، لأنه سيعيد الجهاديين إلى جيرتها، وسيشكل نقطة الانطلاق لهم إلى الجمهوريات الإسلامية الخمس التي تطوقها، وسيؤثر في الأقليات الإسلامية داخل روسيا، لكن موسكو ترى أيضاً أن انسحاب قوات حلف شمال الأطلسي (الناتو) من أفغانستان سيسفر عن ورطة أميركية أكبر من ورطتها، لأن باكستان ستكون المحطة الأولى في هجرة الجهاديين أو توسيعهم خارج أفغانستان.

وهذا الأمر يشكل ناحية أخرى مهمة في الحديث الثنائي الأميركي-الروسي الأوسع والأبعد من المسألة السورية.

عقدة الإسلاميين لدى القيادة الروسية أدت إلى استتمالكها الخوف لدرجة تعمي بصيرتها لجهة إفرازات سياساتها نحو سوريا على مصادر قلقها.

عقدة ضرورة الانسحاب لدى القيادة الأميركية أدت إلى استتمالكها الهوس لدرجة تعمي بصيرتها لجهة إفرازات التنجي على ما هو أولوية أميركية بغض النظر إن سميت «الحرب على الإرهاب» أو المعركة ضد «التطور الإسلامي».

في سوريا تنفجر اليوم العقدة الأميركية والعقدة الروسية، وواجهتها عقدة الأسد.

هناك من يعتقد أن لا مجال من تدخل عسكري في سوريا لوقف النزيف والعنف في الجرح والشرذمة والتفتت والتمزق في حرب أهلية ستطاول الجيرة السورية، إذا استمرت.

نموذج التدخل بلا صلاحية من مجلس الأمن، على نسق نموذج كوسوفو أو على نسق آخر، يلوح في الأفق بعيد جداً، لكنه موجود في أذهان الجميع، أولئك الذين يخشونه وأولئك الذين يتمنونه.

هناك إمكانية لتطور الأمور إلى تمزق نوعي في سوريا، لدرجة أن تصبح معارضة الغد، عندما يتحول النظام الحاكم إلى معارضة، كابوساً من نوع آخر، إذ ستكون مسلحة بامتياز وأخطر بأضعاف وأكبر مساهم في مسيرة التمزق والتشرذم. الأخضر الإبراهيمي حق في قوله «لنترك جانباً الحديث عن أين يتوجه النظام أو الرئيس السوري، ولنتحدث في التاريخ.

المياه لا يمكن أن تعود وتجري صعوداً. ما فات فات. وسوريا غداً ستكون مختلفة عن سوريا اليوم، وسوريا العام المسبق هي سوريا أخرى مختلفة عن سوريا التي كانت قبل سنتين». حق في قوله: «إن التغيير المطلوب يجب أن يكون حقيقياً، وفترة الترقيع انتهت». حق عندما يقول إن «أي حكومة تستطيع أن تقود هذا التغيير (في سوريا والمنطقة العربية)، وإن لم تفعل، فإنها ستكون مُجاوزة».

هذا الشهر يسجل مرور سنتين على وصول عربة المطالبة بالتغيير المطلوب في المنطقة العربية إلى سوريا.

بدأت المطالبة بالإصلاح والتغيير بتظاهرات سلمية ووجهت بالمعالجة الأمنية على أيدي الحكومة السورية. هكذا تم تجاوز الحكومة السورية، بقرارات صدرت عنها أسفرت عن أسفارها بكل ما تعنيه الأسفار من تحويل سورية إلى ساحة حروب بالنيابة ولمقاييس إقليمية ودولية.

الحياة

المصادر: